ثقافة

بعد تشييع رسمي وشعبي

جثمان محمود درويش يوارى الثرى في رام الله

رام الله / متابعات :

ووري جثمان الشاعر الفلسطيني محمود درويش الثرى قرب قصر الثقافة في رام الله بعد تشييع رسمي وشعبي في باحة مقر الرئاسة الفلسطينية بالمدينة.

وقبل أن يوارى الجثمان الثري جاب موكبه الجنائزي كبرى شوارع وميادين رام الله قبل أن يصل إلى قصر الثقافة، الواقع على تلة تطل على مدينة القدس.

وقالت الأنباء أن ذلك القصر الذي أحيا فيه الشاعر الرحل أمسيته الشعرية الأخيرة سيحمل اسم محمود درويش تكريما لذكراه، كما أن بلدية أريحا بالضفة الغربية قررت طلاق اسم محمود درويش على أحد شوارعها

وشهدت رام الله تشييع الشاعر درويش في أجواء رسمية وشعبية سادها الحزن واستحضر فيها الجميع كل الأبعاد التي ظل الراحل يمثلها بالنسبة لملايين الفلسطينيين.

وقد ألقى الرئيس الفلسطيني محمود عباس أثناء المراسم كلمة قال فيها إن الشعب الفلسطيني يعيش حالة يأس وحزن شديدين لرحيل الشاعر الذي ساهم بشكل كبير في صياغة الرؤية الفلسطينية.

وحيا عباس من سماه «نجما أحببناه إلى درجة العشق»، واعتبر أن رحيله يوم السبت الماضي يمثل يوما فارقا في تاريخ الثقافة الفلسطينية والإنسانية.

وأضاف الرئيس الفلسطيني في كلمته التأبينية أن «الفارس العنيد» سيبقى بمثابة «شمس لا تغيب ونهر لا ينضب من الخير والأمل» نذر نفسه للحلم بميلاد دولة العدل والمساواة.

وأشاد بإسهامات الراحل في مسيرة النضال الفلسطيني من أجل الحرية والاستقلال وقال إنه كان «قائدا رياديا» و«حصنا منيعا عاليا بجبهة الثقافة والإبداع».

وفي تلك الأجواء الجنائزية ألقى الشاعر سميح القاسم كلمة تأبينية مؤثرة في حق الراحل غلب عليها الطابع السياسي وانتقد فيها بشدة ممارسات الاحتلال الإسرائيلي.

و قد استعمل القاسم في كلمته عبارة «يا أخا لم تلده أمي» وهو ما يعكس العلاقة الخاصة التي ظلت تربط الشاعرين على مدى عقود طويلة بدآها بالاشتغال مبكرا في عالم الصحافة.

كما ألقى أحد أشقاء الشاعر الراحل كلمة تأبينية باسم ذويه بحضور والدة الشاعر الفقيد الحاجة حورية التي كانت تتمنى أن يوارى جثمان ابنها الثرى قرب قبر أبيه في قرية الجديدة بأراضي الـ48.

الموكب الجنائزي لمحمود درويش جاب رام الله من شمالها إلى جنوبها

في وداع شاعر المقاومة الراحل محمود درويش

رام الله بيروت دمشق/ متابعات:

حزن عميق يخيم بالشارع العربي بتوقف قلب صاحب «الجدارية» شاعر المقاومة الفلسطيني محمود درويش عن النبض للأبد السبتالماضي في مستشفى هيوستن في ولاية تكساس الأميركية حيث كان الشاعر يخضع للعلاج بعد جراحة القلب التي أجراها يوم الاربعاء الماضي.

حزن العواصم العربية

ويعتبر درويش «67 عاما» أحد أهم الشعراء الفلسطينيين المعاصرين الذين ارتبط اسمهم بشعر الثورة والوطن. كذلك، يعتبر شاعر القضية الفلسطينية والمقاومة، وبين أبرز من ساهموا في تطوير الشعر العربي الحديث الذي مزج شعر الحب بالوطن.

سادت أجواء حزن شديد، امتزجت بذهول وعدم تصديق في بيروت ودمشق أمس، عند انتشار خبر وفاة الشاعر الكبير محمود درويش. ولم يتوقف أصدقاء درويش في العاصمتين عن إجراء اتصالات في فلسطين وعواصم مختلفة من العالم لمعرفة مدى صحة النبأ، حين تبين ان الخبر كان ملتبساً، وان الوفاة غير مؤكدة، لكنها تكاد تكون شبه حتمية لجسد كل ما فيه توقف إلا القلب على ما يبدو.

وبحسب المصادر ، ان اهل محمود درويش اتصلوا في المستشفى الذي يوجد فيه وطلبوا العمل برغبته، واحترام مطلبه. ومن بين ما اوصى به درويش بحسب المصدر نفسه هو أن يدفن في فلسطين في حال وفاته.

لكن وزير الثقافة السوري رياض نعسان آغا، الذي كان في احتفالية داخل معرض دمشق حين وصل الخبر الفاجعة، لم يتمالك نفسه ونعى الشاعر والصديق محمود درويش، من خلال مكبرات صوت تبث في كل أرجاء المعرض. وبدأت إذاعة المعرض من لحظتها تبث نعياً لدرويش وتذكيراً بقامته الشاهقة في الشعر العربي الحديث ومكانته التي يصعب أن يملأها أي شاعر آخر.

أما الفنان مارسيل خليفة الذي تربطه صلة حميمية بالشاعر درويش، وأعمال مشتركة شهيرة في العالم العربي، وحفلات حضرها آلاف العرب، فقد رفض التعليق بأي كلمة على الخبر الأليم الذي وقع عليه كالصاعقة.

وقال الشاعر الياس لحود كما نقلت عنه صحيفة «الشرق الأوسط» اللندنية «انها فجيعة.. انك يا محمود درويش جبل يهوي. يذهلنا دائماً لأنه الأصدق شعراً وحباً وطنية، فوداعاً محمود درويش».

شاعر المقاومة

حصل محمود درويش على عدد من الجوائز منها: جائزة لويس عام 1969، جائزة البحر المتوسط عام 1980، درع الثورة الفلسطينية عام 1981، لوحة أوروبا للشعر عام 1981، جائزة ابن سينا في الاتحاد السوفيتي عام 1982، جائزة لينين في الاتحاد السوفيتي عام 1983، جائزة الشعر العربي 2007 بالقاهرة.

أما أبرز مؤلفاتاته فهي: عصافير بلا أجنحة، أوراق الزيتون، عاشق من فلسطين، آخر الليل، مطر ناعم في خريف بعيد، يوميات الحزن العادي، يوميات جرح فلسطيني، حبيبتي تنهض من نومها، محاولة رقم 7، أحبك أو لا أحبك، مديح الظل العالي، هي أغنية.. هي أغنية، لا تعتذر عما فعلت، عرائس، العصافير تموت في الجليل، تلك صوتها وهذا انتحار العاشق، حصار لمدائح البحر، شيء عن الوطن، ذاكرة للنسيان، وداعا أيتها الحرب وداعا أيها السلم، كزهر اللوز أو أبعد، في حضرة الغياب، لماذا تركت الحصان وحيدا؟، بطاقة هوية.

ودرويش هو أحد أهم الشعراء الذين كانوا صوت القضية الفلسطينية في العالم، وأحد أهم الشعراء الذين ساهموا في بناء الشعر العربي الحديث.

ولد 13 مارس 1941 في قرية البروة من أراضي 48 والتي دمرتها إسرائيل عام 1948 لتبنى في مكانها قرية زراعية يهودية باسم احي هود. وبعد النكبة لجأت عائلته لجنوب لبنان ثم عاد متخفيا بعد سنة مع عائلته إلى فلسطين، ليبقى فترة قصيرة في قرية دير الأسد في الجليل قبل أن تستقر العائلة في قرية الجديدة المجاورة لمسقط رأسه.

درويش مع الشهيد ابو عمار وجورج حبش

وتنقل درويش بين قرى الجليل لدراسته الإعدادية والثانوية، ثم استقر في مدينة حيفا حيث التحق بالحزب الشيوعي الذي كان يضم يهودا وعربا.

عمل درويش في صحيفة الاتحاد ومجلة الجديد التابعتين للحزب الشيوعي في مدينة حيفا. وفي هذه الفترة بدأ ينظم الشعر، وعرف في فلسطين بأنه «شاعر المقاومة».

وقد تعرض درويش لملاحقات أمنية إسرائيلية وسجن ثلاث مرات «1961 و1965 و1967» ثم فرضت عليه إقامة جبرية بسبب تصريحاته ونشاطاته السياسية.

وكان الأول بين مجموعة من الشعراء الذين كتبوا من داخل إسرائيل عندما كانت رئيسة الحكومة في تلك الفترة جولدا مائير تقول علنا «ليس هناك فلسطينيون».

وعام 1972، غادر حيفا لمصر حيث التحق بمنظمة التحرير الفلسطينية ومنها انتقل لبيروت. وبعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان وخروج المقاتلين الفلسطينيين عام 1982، توجه للقاهرة ومنها لتونس ثم باريس.

وعام 1993 استقال درويش من عضوية اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير احتجاجا على اتفاق أوسلو، معتبرا أنه «ليس عادلا لأنه لا يوفر الحد الأدنى من إحساس الفلسطيني بامتلاك هويته».

شغل منصب رئيس رابطة الكتاب والصحافيين الفلسطينيين وحرر في مجلة الكرمل، وأقام في باريس قبل عودته إلى وطنه، حيث أنه دخل إلى فلسطين بتصريح لزيارة أمه، وفي فترة وجوده هناك قدم بعض أعضاء الكنيست الإسرائيلي العرب واليهود اقتراحا بالسماح له بالبقاء في وطنه، وقد سمح له بذلك.

مواقف في قلب إسرائيل

يا قارئي !
لا ترج مني الهمس !
لا ترج الطرب
هذا عذابي ..
ضربة في الرمل طائشة
و أخرى في السحب !
حسبي بأني غاضب
و النار أولها غضب !

أثار محمود درويش غضب إسرائيل التي أصبحت شرطتها تحاصر أي قرية تقيم أمسية شعرية له. حتى أن قصيدته «عابرون في كلام عابر» أثارت نقاشا حادا داخل الكنيست.ويقول فيها:

أيها المارون بين الكلمات العابرة
احملوا أسماءكم وانصرفوا
لتموتوا اينما شئتم ولكن لا تموتوا بيننا
فلنا في أرضنا مانعمل
ولنا الماضي هنا
ولنا صوت الحياة الاول
ولنا الحاضر،والحاضر ، والمستقبل
ولنا الدنيا هنا...و الاخرة
فاخرجوا من ارضنا
من برنا ..من بحرنا
من قمحنا ..من ملحنا ..من جرحنا
من كل شيء، واخرجوا
من ذكريات الذاكرة
أيها المارون بين الكلمات العابرة!..

عاد درويش منتصف التسعينيات لغزة ثم اختار الإقامة في رام الله بالضفة. وانتقد الاقتتال بين الفلسطينيين في آخر قصائده «أنت منذ الآن غيرك» التي نشرت في يونيو 2007. ويقول فيها:

هل كان علينا أن نسقط من عُلوّ شاهق، ونرى دمنا على أيدينا... لنُدرك أننا لسنا ملائكة.. كما كنا نظن؟
وهل كان علينا أيضاً أن نكشف عن عوراتنا أمام الملأ،
كي لا تبقى حقيقتنا عذراء؟
كم كَذَبنا حين قلنا: نحن استثناء !
أن تصدِّق نفسك أسوأ من أن تكذب على غيرك!

وفي قصيدته الجديدة «سيناريو جاهز» قدم الشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويش سيناريو غير مكتمل لافتراض سقوطه مع عدوه في حفرة واحدة وذلك في افتتاحه مهرجان «وين ع رام الله» الذي تنظمه بلدية رام الله بمناسبة الذكري المئوية الأولى لتأسيسها.

قال درويش: لنفترض الآن أنّا سقطنا أنا والعدو من الجو في حفرة واحدة فماذا سيحدث؟، بدأ درويش في عرض السيناريو قائلا في البداية ننتظر الحظ. قد يعثر المنقذون علينا هنا ويمدون حبل النجاة لنا/ فيقول انا اولا وأقول انا اولا/ سيشتمني وأشتمه دون جدوي فلم. يصل الحبل بعد.

تحدث درويش عن ألمه جراء الاقتتال الدامى بين حركة حماس والأجهزة الأمنية الفلسطينية الموالية للرئيس محمود عباس والذى سيطرت على اثره حماس على قطاع غزة فقال «إلى أن صحوت من الغيبوبة على علم بلون واحد يسحق علما بأربعة الوان على اسرى بلباس عسكرى يسوقون اسرى عراة فيا لنا من ضحايا فى زى جلادين»، وأضاف درويش «الدولة الفلسطينية واحدة من عجائب الدنيا السبع لأن الاحتلال يريدها هزيلة عليلة».

وكان الشاعر قد وجه مؤخرا هجوما لاذعا إلي حركتي فتح وحماس في أول ندوة شعرية له في موطنه حيفا منذ عدة عقود، معتبرا أن المعارك التي جرت بين فتح وحماس «كانت محاولة انتحار علني في الشوارع»، وأضاف ساخرا: «لقد أصبحنا مستقلين، فقد استقلت غزة عن الضفة الغربية، وصار لشعب واحد دولتان وسجنان، وقال درويش إن الحكومتين «فتح وحماس» جعلتا من قيام دولة فلسطينية واحدة من عجائب الدنيا السبع.

وأوضح درويش أن الشاعر ولو عبر عن الهموم السياسية لشعبه يجب أن يظل على مسافة من السياسي، وذلك لسبب بسيط جدا وهو أن السياسي غير الشاعر من حيث أن السياسي يبحث عن الممكن، أما الشاعر فيبحث عن الحلم، أو حتى عما يعتبر مستحيلا في السياسة.

الرئيس الفلسطيني يلقي كلمة التأبين في جنازات درويش

عندما قال للحياة : على مهلك انتظريني

شفاء منصر

رحل محمود درويش موجوعاً بفلسطين، الجرح الذي أثقل قلبه المرهف، فلم يملك سوى أن يوقد لها دمه ليضيء ليآليها المعبأة بالسواد والقتامة والفجيعة بقناديل الشعر والأمل المستحيل حتى آخر قطرة اختزنها قلبه المثقل بالتعب، ثمّ تهاوى كزنبقة شاحبة على صدر الفجر، عبقها يحتضن المواسم والغمام وعيون الصغار ويعصف بالأمكنة التي افتقدت خطاه.. بعد أن راوغ شبح الموت مرات ومرات متشبثاً بأهداب الحياة لكن الحياة خذلته وخلفته وراءها ولم تنتظره كما تمنى عليها ذات يوم :

إلى أنْ تجف الثمالة في قدحي
في الحديقة وردٌ مشاع، ولا يستطيع الهواء
الفكاك من الوردة
انتظريني لئلا تفر العنادل مني
في خطى في اللحن
الساحة المنشدون يشدون أوتار آلاتهم
لنشيد الوداع .. على مهلك اختصريني
لئلا يطول النشيد فينقطع النبر بين المطالع
وهي ثنائية والختام الأحادي
تحيا الحياة
على رسلك احتضنيني لئلا تبعثوني الريح /
حتى على الريح لا أستطيع الفكاك
من الأبجدية))

لكن الموت باغته وأطفأ أمنياته حاملاً روحه بعيداً نحو بوابة السماء وملكوت الله وأثر يديه ما زالت حارة على وتر القصيدة.

أدباء إيرانيون: درويش كان لغة وعشقا

طهران/ متابعات

«الموت يسكت صوت درويش إلى الأبد»، «الموت يغيب شاعر فلسطين الأبرز»، «رحيل شاعر العصافير والفراشات المقاومة»، «درويش تلا قصيدته الأخيرة ورحل»، و«موت درويش يلبس فلسطين السواد»، هذه مجموعة من عناوين كثيرة حملتها الصحف والمواقع الإخبارية الإيرانية، في متابعة واسعة لرحيل الشاعر الفلسطيني محمود درويش.

دواوين درويش ترجمت للفارسية واستقبلت بترحيب واسع (الجزيرة نت)

وتحظى قصائد درويش باستقبال كبير في الأوساط الأدبية الإيرانية، وتدرس أشعاره في الجامعات نموذجا لشعر المقاومة والشعر العربي الحديث.

كتب ومقالات

ووفقا لسجلات المكتبة الوطنية الإيرانية هناك عشرة دواوين للشاعر الراحل ترجمت إلى الفارسية هي:

آخر الليل.
خارج الأساطير.
القطار الأخير.
أوراق الزيتون.
العصافير تموت في الجليل.
غصن الورد.
المزامير.
يوميات الحزن العادي.
محاصرة.
أنا يوسف يا أبي.

وترجم قصائد درويش عدد من المترجمين الإيرانيين المعروفين، ومن أبرزهم جاهد جهانشاهي ويوسف عزيزي وموسى بيدج وتراب حق شناس.

كما تضمن أرشيف المكتبة أكثر من خمسين مقالة حول الشاعر الراحل نشرت في عدد من الدوريات والصحف الإيرانية في مراحل زمنية مختلفة.

كان لغة وعشقا

ووصف المترجم جهانشاهي درويش بأنه لم يكن شاعرا فقط، بل كان شعرا ولغة وألما وعشقا ورمزا لمقاومة فلسطين.

وقال جهانشاهي الذي ترجم عددا من دواوين الراحل إلى الفارسية إن أشعار درويش نجحت بتصوير الألم الذي علق في أعناق الفلسطينيين واستطاعت نقله بحس قل مثيله.

وأشار جهانشاهي إلى أن شعر درويش كان عشقا، لكنه «لم يكن ماديا أو عاديا بل كان للوطن والتراب».

وقارن جهانشاهي بين درويش والشاعر التشيلي بابلو نيرودا والشاعر الألماني ريلكه، وأكد أن درويش تربع على عرش شعر المقاومة.

درويش مثل انطلاقة

واعتبر المترجم أستاذ الأدب العربي موسى بيدج أن درويش مثل انطلاقة جديدة للشعر العربي وشعر المقاومة في العالم أجمع، وأضاف أن تعابير العشق والاستعارات التي ضمنها شعره بكثافة كانت ممتزجة بحب الوطن.

وأكد مترجم «العصافير تموت في الجليل» أن اسم درويش يوقظ في ذاكرة الإنسانية جمعاء معنى النضال ويذكرها بقضية فلسطين.

وأضاف «في الشعر العربي المعاصر يمكننا أن نضع عددا من الأسماء في المقدمة، ويمكننا القول إن درويش متقدم عليها بعشرين عاما».

ويرى بيدج فلسطين قضية رفعت أشعار درويش إلى الأوج، لكن أشعاره في الوقت نفسه لها مكانتها البارزة من الناحية الفنية والنقدية.

وبثت وكالة أنباء الكتاب الإيرانية (ايبنا) تغطيات كثيرة حول الشاعر الراحل، وقالت في إحداها إن رحيل درويش خسارة فادحة لأدب المقاومة.

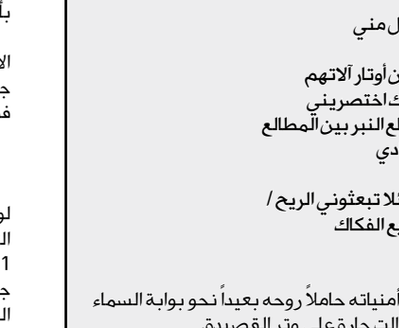

المترجم / جاهد جهانشاهي ويوسف

ليلة درويش

وكانت الأوساط الأدبية في إيران قد أقامت قبل أشهر «ليلة درويش» للاحتفاء بمن وصفته شاعر المقاومة الأول.

وتضمنت الليلة التي نظمتها مجلة بخارا في بيت الفنانين عرضا للفيلم الوثائقي «سفر إلى فلسطين» وشهادات لأدباء معروفين حول إبداع درويش.

ومما جاء في الليلة ما قاله الشاعر الإيراني الدكتور محمد رضا شفيعي كدكني «إذا أردنا انتخاب اسم عندما يذكر تتداعى إلى الذهن فلسطين فهو محمود درويش».

«ليلة درويش» احتفالية أقامتها مجلة بخارا احتفاء بشاعر المقاومة

قصيدة راحلة في الأبد

لن ابدأ بنعي محمود درويش، فهذا الشاعر الذي نبت شعره من الزهرة وسنبلة القمح ونسمة الهواء، من معاناته التي تتمثل في معاناة شعب كامل،يرمز الى معاناة البشرية في كل مكان وزمان، من ثقافة انسانية عميقة الجذور لا تؤمن بالحدود والاجناس والالوان، عزاؤنا الوحيد فيه انه راحل بشعره دائما وابدا في دواخلنا.. وافكارنا .. واحلامنا..

منيرة مصباح

مع محمود درويش وشعره لم استطع الا ان اكون في حالة انحياز، وسأبقى، هذا الانحياز ليس انحيازا عاطفيا فقط، ينطلق من انتماء لفلسطين، انما هو انحياز ينطلق من تلاق فكري وابداعي حول الشعر الذي استطاع محمود درويش به ان يمحور ذوقي اللغوي والفني حوله منذ بدايات كتاباتي. واذكر كيف كنت وزملاء الدراسة نتسابق للحصول على قصائده المهربة من السجن والتي كان استاذ الادب العربي يحصل عليها سرا ليوزعها علينا.

لقد كان على محمود درويش ان يسبغ على علاقته بالقصيدة بعدا فلسفيا واحيانا ميثولوجيا نابعا من خصوصية علاقته كشاعر فلسطيني بثقافته الواسعة، والتي جعلت من مهمته تخليد الرموز التي تتماهى مع الوطن بحيث اصبح هو متواريا بين حروفها ذلك التواري الذي يعطي للقصيدة بعدها الجمالي.

وموضوعة الخلود هذه ليست جديدة فقد وضعها افلاطون في المنظور السوي عندما اكتشف ان الابد يتحول الى زمن، هذا اذا كان له ان يتحرك، فالابد نوع من زمن مجمد. اما ويليم بليك فيضع النقاط على الحروف حين يقول : الابد يعشق اعمال الزمن . وكذلك شعر محمود درويش معشوق للابد. وكما قال كارلوس فوانتيس، فان على الحقائق ان تدفعنا للتأكيد على ان اللغة هي حجر اساس الثقافة، بوابة التجربة، سقف الخيال، قبو الذاكرة، غرفة نوم الحب، وقبل كل شيء نافذة مفتوحة على هواء الشك وعدم اليقين والمساءلة. ان في كل شاعر عظيم مشروعا انسانيا، وهذا ما حمله محمود درويش في عقله وقلبه، ولنسمه ولعا او حبا او حرية او عدلا يدعونا لتحقيقه، حتى لوعرفنا ان الفشل مصيره. لكن عبر وعيه الضمني او الصريح لذاك الفشل ينقذون ويجعلوننا ننقذ طبيعة الحياة ذاتها مع الوجود الانساني وقيمه التي تذكرتها كافة العصور والشعوب واسر الجنس البشري دون الاستسلام لأوهام التقدم المستمر والسعادة الاكيدة. وليس بمقدورنا ان نتجاهل الاستثناءات المأساوية التي تواجهها البشرية باستمرار .

ان معرفة القدرة على المقاومة لدى الشاعر تعني اننا نملك القدرة للنصرعلى الموت في لحظات معينة وكما فعل هو مرتين قبل رحيله الابدي. لذلك يقول محمود درويش في الجدارية: (هزمتك يا موت الفنون جميعها/ هزمتك يا موت الاغاني/ في بلاد الرافدين).

(ايها الموت انتظرني خارج الارق/ انتظرني في بلادك ريثما انهي/ حديثا عابرا مع ما تبقى من حياتي). الحرية مأساوية لأنها تدرك ضرورتها وحدودها في آن، وقد وعى محمود درويش ذلك بشدة لذلك يقول في احد تصريحاته للصحف الفرنسية ان الفلسطيني الجدير بهذا الاسم، ينبغي ان يغتني بكل الثقافات التي كونته، من البابلية والسومرية الى اليهودية والمسيحية والاسلامية مرورا بالفارسية والعثمانية ..... وانها لفرصة ان ينتمي المرء الى بلد تشرب ثقافات قديمة عريقة ... وليس من الشاق على امرئ محاصر مطوق .. واقع تحت القصف، ان يفلح في الاستمتاع بقراءة نشيد اي كان او قصيدة. هذا هو محمود درويش الشاعر الفلسطيني المولود في قرية البروة احدى قرى فلسطين التي اقام عليها الاسرائيليون احدى مستوطناتهم بعد احتلالها ....

ومنذ ان كتب في المعتقل قصيدة (احن الى خبز امي)، و(من آخر السجن طارت كف اشعاري) و(عاشق من فلسطين)، الى قصائد (كزهر اللوز أو أبعد)، كان محمود يخط مشروعه الشعري الخاص مع وجود مراحل عدة لهذا المشروع الذي لم تغب فلسطين في اي مرحلة من مراحله، بل بقيت قابعة كما هي رغم التحولات على ارض الواقع، ولم تغادر روح وفكر وعقل الشاعر رغم المنفى الجسدي الذي يحاصره .. اصبحت فلسطين في المخيلة هي المعادل للمنفى الواقعي.

لذلك لا نستطيع ان نفصل سيرته الشعرية عن الوطن المتخيل .. فمنذ ان كتب (لماذا تركت الحصان وحيدا) الى (سرير الغريبة) الى (الجدارية) وتجربة الموت السريري، الى (حالة حصار) وتجربة الانتفاضة، ثم (لا تعتذر عما فعلت) واخيرا وليس آخرا (كزهر اللوز او ابعد) والشاعر يسير في مشروعه الجمالي الملتصق بالوطن كمتخيل انساني تاريخي لا يغادر فكره .. وهو بنفسه القائل: ان قصائدي الجديدة تقاوم قصائدي القديمة ، لكنها كلها مشروع شعري متكامل، انها قصائد تثير حاسة الانتباه الشديد ضد التقليد. انها تتعامل مع الراهن وتسعى الى ارض لغوية تحول الراهن الى ماض، وهي تعالج الهم العام من دون سقوط النص في الحدث الذي كتبت عنه القصيدة.) فالشاعر او المواطن برأي محمود درويش من حقه ان يعيش حياته بلا نضال ولا خوف ولا هاجس الموت قتلا .. ولا عقدة النقص نتيجة خسارة الوطن او السعي الى استعادة الوطن. ان ديوان محمود درويش (كزهر اللوز او ابعد) هو خلاصة عقود محمود درويش الشعرية. وفي هذا الديوان تخفف الشاعر من كل شيء الا من حكمة الزمن ونبض الشعر.ويبدو هذا واضحا في الديوان من الغلاف الاول الى الغلاف الاخير . فهو يستبق الشعر بمقدمة قصيرة من كتاب (الامتاع والمؤانسة (لأبي حيان التوحيدي : (احسن الكلام ما... قامت صورته بين نظم كأنه نثر ونثر كأنه نظم).

لكن الشاعر الذي عاش وحدته وتفرده لتصبح القصيدة صاحبته الدائمة ويصبح الشعر بيته الباحث الدائم عنه، ذلك البيت الذي اصبح وطنا في داخله كما الوطن المتماهي فيه. ومع هذا فان درويش في (كزهر اللوز او ابعد)، قد تعمد عدم نسيان الاخرعندما خاطبه قائلا: وانت تعد فطورك فكر بغيرك ... لا تنسى قوت الحمام وانت تخوض حروبك فكر بغيرك .... لا تنس من يطلبون السلام وانت تعود الى البيت، بيتك، فكر بغيرك ... لا تنس شعب الخيام كما انه خاطب الغائب الدائم الوطن المرأة والموت ... لكن هذا الغائب هو حاضر في اعماقه مع نقيضه ليجعل الشاعر متوحدا مع ذاته وخياله وغائبه.. لقد احتضن محمود درويش عمره بلوعة الحنين .. مع ذكريات بلا مرارة .... وطار محلقا في الابد داخل الايقاع على اجنحة الكلمات ليفتح فضاء اللغة في القصيدة حتى شف الشعر لديه في مخاطبته لكل الضمائر .

قائلا: (هي لا تحبك انت ... يعجبها مجازك..... يعجبها اندفاع النهر في الايقاع كن نهرا لتعجبها ويعجبها جماع البرق والاصوات قافية .....
فكن الفا لتعجبها .

هكذا كانت قصة اللوز وزهره عند محمود درويش. انها رواية طويلة لوطن وحب ولوعة تبحث عن نغمة ..عن ابتسامة عن فضاء جديد للغة والتاريخ والانسان .

فكيف يشع زهر اللوز في لغتي أنا .. وأنا الصدى؟ وهو الشفيف كضحكة مائية نبتت على الاغصان من خفر الندى. لن اقول وداعا محمود درويش، فأنت قصيدة مقيمة دائما في احلامنا.

(كاتبة عربية تقيم في امريكا)

عن القدس الغربي